دراسة تاريخية وحضارية
حول قصي بن كلاب
الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد

أ. د. أحمد محمود صابون

أستاذ التاريخ القديم

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

يجمع المؤرخون على أن قصياً من ولد إسماعيل، فهو "قصي [1] بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد"، وإن كانوا يختلفون في أسماء الفترة حتى إسماعيل، ولعل أرجح سلسلة الأنساب هي التي تقول أن عدنان هو "ابن أدد بن زيد بن ثرى بن أعراق الثرى"، وأما "ثرى" فهو نبت أو نبايوت، وأما "أعراق الثرى" فهو إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهما السلام [2]، وإلى هذا يشير الحديث الشريف "اختار الله من ولد إسماعيل كنانة، واختار قريشاً من كنانة، واختار بني هاشم من قريش، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار" [3].

يروي الأخباريون [4] أن فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل قد تزوجت

---

(١) وتذهب المراجع العربية إلى أن قصياً إنما كان على أيام المنذر الأول بن النعمان ملك الحيرة (٤١٨-٤٥٢م)، وبهرام الخامس جور ملك الفرس (٤٢٠- ٤٣٨م)، أنظر: ياقوت ١٨٦/٥، بلوغ الأرب ٢٤٧/١. وكذا Ency. Of Islam, ٤, P. ١٧٤ ويرى وليم موير في كتابه (حياة محمد)، انظر: The life of mohammed Edinburgh. ١٩٢٣ أنه ولد في حوالي عام ٤٠٠م، وولده عبد مناف في حوالي عام ٤٣٠م، وولده هاشم في حوالي عام ٤٦٤م، ثم ولد عبد المطلب في حوالي عام ٤٩٧م، أما عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فحوالي عام ٥٤٥م. انظر: محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، الطبعة الثانية، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٤٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢٥٤/٢- ٢٧٥؛ ابن الأثير ١٨/٢- ٣٣؛ ابن خلدون ٢٩٨/٢، تاريخ الإسلام للذهبي ١٨/١؛ الاشتقاق ٢٠/١- ٣٢؛ الإكليل ١١٠/١- ١١٦؛ أخبار الزمان للمسعودي ص١٠٤؛ القلقشندي: نهاية الأزب في معرفة أنساب العرب ص٢٣- ٢٥، ابن قتيبة: المعارف ص٢٩- ٣٢؛ نسب قريش للزبيري ص١٣- ١٤؛ المقدسي: التبيين في أنساب القرشيين، ص٣٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٢/٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٢٥٤/٢- ٢٥٨؛ تاريخ ابن خلدون ٣٤٤/٢؛ ابن الأثير ١٨/٢- ٢٠، الأزرقي: أخبار مكة ١٠٣/١- ١٠٧.

بعد وفاة كلاب بن مرة برجل من بني عذرة [(١)] هو ربيعة بن حرام بن وضنه بن عبد بن كبير بن عذره بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة العذري القضاعي، وقد كان ولديها من كلاب زهرة، رجل بالغ والذي تخلف بمكة، أما زيد كان في سن الفطيم صبيا صغيراً، فحملها معه إلى مواطن قبيلة بني عذرة، فأخذت معها ولدها زيد، والذي لقب بـ "قصي"، لبعده عن ديار قومه وأنه أقصى عنهم فقال الخطابي سمى قصياً، لأنه تربى منذ نعومة أظفاره في مكان قاص عن مسقط رأسه وعش آبائه وأجداده [(٢)].

ويذكر جواد على أن الاسم (زيد) الذي زعم الإخباريون أنه اسم قصي الأصلي، الذي سمى به يوم ولد بمكة، هو أيضاً اسم صنم، فقد نص أهل الأخبار على أن (زيداً) هو صنم من أصنام العرب [(٣)].

---

(١) انظر: منازل قبائل عذرة، شمال وادي القُرى بين الحجاز والشام: جواد على ٢٥١/٤ وكذا حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ط١، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة ١٤٠٧هـ و١٩٨٧م، ص٥٥، ص٥٨- ٥٩، ٧٨- ٧٩.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٦٧/١- ٦٨، وكذا أنساب الأشراف للبلاذري ٤٨/١- ٤٩. يذكر حسين مؤنس أن قصي كان الولد الأكبر ويليه زُهرة – وهو هنا اسم رجل أو قد يكون اسم البيت: وأن قصي سُمي بهذا الإسم من مولده، ولا داعي للقول بأنه سمي كذلك لأنه تربى قصياً أي بعيداً، أما اسم زيد فلا معنى له في الحقيقة. انظر حسين مؤنس: تاريخ قريش، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٩٢- ٩٣، ص٩٥.

(٣) جواد على ٥٧/٤، يذكر حسين مؤنس أن هذه غفلة من الرُشاطي والنويري، فإن قصياً وآله لم يستقروا في مكة إلا على يد قصي نفسه – كما سنذكر في البحث فيما بعد – وعندما كان قصياً صغيراً (حسب رأي حسين مؤنس) كان يعيش في منازل قبيلته قريش إلى الشمال من مكة مجاورين لمنازل أبناء عمومتهم العذريين القضاعيين. وكما يذكر أنه يلاحظ من النص إن قصياً خرج مع ركب حجاج قضاعة مما يدل على أن الصلة كانت وثيقة بين فروع قريش التي انتسب إليه قصي وفروع قضاعة. انظر: حسين مؤنس: المرجع السابق، ص٩٥.

على أية حال، لما شب زيد وقع بينه وبين آل ربيعة خلاف، فقيل له: ألا تلحق بقومك؛ وعُير بالغربة، وكان لا يعرف لنفسه أباً غير ربيعة، فرجع إلى أمه وشكا إليها ما قيل له، فقالت: يا بني أنت أكرم نفساً وأباً، أنت ابن كلاب بن مرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام، فأجمع قصي على الخروج، فقالت له أمه: أقم حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج في حاج العرب، فلما دخل الشهر الحرام، خرج مع حاج قضاعة، حتى قدم مكة، فحج وأقام بمكة [١]، حيث كانت خزاعة [٢] مسئولية علي أبطح مكة، وكانت قريش تنزل الشعاب والجبال وأطراف مكة وما حولها، فخطب قصي إلى حليل بن حُبشيه بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة الخزاعي ابنته حُبيَّ، فعرف حليل، عنه النباهة والهمة وكما أنه كان رجلاً جليداً حازماً بارعاً، ومن ثم عرف نسبه فزوجه ابنته وحليل يتولى أمر البيت ويتقلد رئاسة خزاعة يومئذ [٣]. أقام قصي معه، وولدت له حُبيَّ أولاده عبد الدار وعبد العزى، وعبد قصي وعبد مناف. ولما كان قصي رجلاً طموحاً تنبه إلى أهمية مكة والحرم فيها، فاستقر رأيه على أن ينتزع مكة وبكة والبيت والحجر من خزاعة [٤]. فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه، ولما كبر حليل وضعف، دفع مفاتيح

---

(١) النويري: نهاية الأرب ٢١/١٦.

(٢) انظر: أحمد محمود صابون: مكة المكرمة أسماؤها، وتاريخها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٧٦- ٧٩، وانظر: عن خزاعة: حسين مؤنس: تاريخ قريش ص٧٥- ٨٠، ص٩٦- ٩٨. وكذا : عبد القادر فياض حرفوش: قبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام، ط١، دار البشائر، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٤م.

(٣) ارتبطت خزاعة بعد جرهم بسدانة البيت حتى دخول قصي مكة.
انظر: شفاء الغرام ٢٦/٢، تاريخ اليعقوبي ٢٣٨/١.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص٩٨.

الكعبة إلى ابنته حُبَّى فكانت تأمر قصياً بفتحها مرة، وتأمر أخاها المحْتَرش – وهو أبو غبشان [١] بن حليل – بذلك أخرى، ثم مات حليل، فقالت: لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعلت ذلك إلى أبي غبشان، وكان في عقله خلل، فاشترى قصي منه ولاية البيت بزق خمر وبذل له ناقة كانت له ناجية [٢]. فضربت به العرب المثل فقالت: أخسر صفقة من أبي غبشان. وهذا فيه إزراء بخزاعة وإظهار لامتياز قريش عليها. وفي رواية ثانية أنه بعد موت حليل، صارت الرئاسة إلى ابنه المُحْترش، فسأله قصي أن يجعل سدانة البيت إليه، ففعل [٣].

وهناك رواية أخرى تذكر بأنه "فلما حضرت حليل الوفاة نظر إلى قصي، وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته، فرأى أن يجعلها في ولد ابنته، فدعا قصياً فجعل له ولاية البيت وأسلم إليه المفتاح وكان يكون عند إبنته حبي، فلما هلك حليل أبت خزاعة أن تدعه وذلك، فأخذوا المفتاح من حبى، فمشى قصى إلى رجال من قومه من قريش وبني كنانة ودعاهم على أن يقوموا معه في ذلك وأن ينصروه، ويعضدوه فأجابوه إلى نصره، وأرسل إلى أخويه لأمه رزاح بن ربيعة [٤] وحُن بن ربيعة، [٥] وكان رزاح سيد قضاعة وقائدها.

---

(١) يذكر البلادري "وحدثني علي بن المغيرة الأثرم" عن معمر بن المثنى أبو عبيدة، قال: كان الذي أخذ قصي البيت منه أبو غبشان. واسمه سليم بن عمرو بن بوّى بن ملكان. والأول أصحب وأثبت، انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ١/٥٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٥٢/١، وكذا جمهرة أنساب العرب للأندلسي، ص٢٣٥- ٢٣٦، هناك من يذكر أنه حليل بن حبشية باع الكعبة بزق خمر، انظر: حسين مؤنس: المرجع السابق، ص٧٧.

(٣) أنساب العرب للبلاذرى ٤٩/١.

(٤) الأزرقى: أخبار مكة ١٠٤/١ وكذا جهرة أنساب العرب للاندلسى، ص ٤٤٨.

(٥) يقال إن حن بن ربيعة من إمرأة سوى فاطمة. أتظر أنساب الأشراف للبلاذرى ٤٩/١.

ويتضح أن هذه الروايات مختلفة، فما كان لحليل أن يتنازل عن الحكم لابنته حبى لأنها امرأة، في خزاعة من الزعماء الأكفاء من يصلح لهذه الولاية، ويحسن حمل أعبائها على عاتقه، ولا كان ينبغي له كذلك أن ينقل ولاية البيت من أبناء قبيلته إلى واحد من غيرها حتى ولو كان من ولد اسماعيل، عليه السلام، والأمر كذلك بالنسبة لإعطاء حبى مفتاح الكعبة لأبي غبشان، وهو السكير الخمير الذي لا يرعى أمانة ولا يحفظ على وديعة. والذي لا شك فيه هو أن قصيا لم يتطلع إلى ولاية الأمر في مكة لأن حليلا قد تنازل له عنه، ولا لأنه قد اشترى مفتاح الكعبة من أبي غبشان، لكن لأنه أحد ولد إسماعيل بناة البيت، وأحق الناس بسدانته وحجابته، وما خزاعة إلا قبيلة اغتصبت الحكم من أخوالهم جرهم، وأخرجتهم من البلد الحرام.[(١)]

يفهم من رواية اليعقوبي أن قصيا بعد أن تمكن من أمر مكة أتجه إلى استئلاف خزاعة التي اتخذت مساكنها شمالي مكة وأخذت تمتد على الطريق منها إلى يثرب (المدينة المنورة) فتتزوج حُبى بنت حليل سيد خزاعة، فكان هذا أول ارتباط بين قريش وخزاعة بعد الذي كان بينهم من الحرب. وقبل أن يموت حليل أقر لقصي برياسة مكة وحجابة البيت.[(٢)]

وهناك من يعتبر رواية اليعقوبي هي الصحيحة وأن الروايات الأخرى – السابقة – قصصية الطابع وأن ذكرها لمجرد الإحاطة بها لا نفضلها على رواية اليعقوبى .[(٣)]

(١) عبد العزيز غنيم عبد القادر: قصة البيت الحرام، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثانية والثلاثون – الكتاب الأول مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٩٢.

(٢) تاريخ اليعقوبى ٢٣٨/١- ٢٤٠.

(٣) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٢.

وعلى أيه خال، فلما أخذ قصي مفتاح البيت إليه، أنكرت خزاعة ذلك، وكثر كلامها، ومن ثم تقول الحرب بين خزاعة وحلفائها من جانب، وبين قصي ومن ناصره من عشائر قريش وبطونها، التي كانت متفرقة، فوحد كلمتها وجمعها من حوله وحالف بطون كنانة، ثم راسل أخوته من بني غدره من جانب آخر.

يذكر الطبري [(١)] أن قصي أستصرخ أخاه رزاح بن ربيعة فحضر هو وإخوته: جلهم وحن ومحمود، وتخيروا وقت الحج للهجوم، وعندما اشتد بنو صوفه [(٢)] في تقديم أنفسهم على النفر من عرفة إلى منى، فلم يجسر أحد من الناس أن ينفر ولا يرمى حتى يرموا الجمار في منى، فلما كان هذا العام فعلت بنو صوفه، كما كانت تفعل، فأتاهم قصي بمن معه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، [(٣)] فقال لنبي صوفه: نحن أولى بهذا منكم فبادؤوه الحرب، فاقتتل الناس قتالاً شديداً وكثر القتل في الفريقين، فانهزمت بني صوفه وغلبهم على ما كان بأيديهم من ذلك، فانحازت خزافة وبنو بكر عن قصي، وعلموا أنه سيمنعهم كما منع من ذلك بني صوفه، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة، فاجتمع لحربهم، فخرجت خزاعة وبنو بكر، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، وأن يحكموا رجلاً

(١) تاريخ الطبرى: ٢٥٨/٢.

(٢) أنظر عن بنى صوفة: حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ١٠٧- ١٠٨.

(٣) الطبرى يؤيد ذلك، ولكنه يقول هنا إن قصيا عندما أراد دخول مكة دخلها ببنى النضر جميعا وأحياء من قضاعة (وهم من بنى عذرة)، على أن هناك من يذهب إلى أن الذين دخلوا مع قصى كانوا القرشيين من بنى النضر، أما الفهريون فقد أتوا بعد ذلك وأصبحوا قريش الظواهر: أنظر : تاريخ الطبرى ٢٥٩/٢؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٦.

من العرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناه، حيث جعل فناء الكعبة مكاناً للتحكيم، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة، وأن أي دم أصابته قريش من خزاعة، موضوع يشدخة تحت قدميه، وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة الدية [١]، فودوا خمسمائة وعشرين بدنه، وثلاثين خرجا [٢] ،وأن يخلى بين قصي وبين البيت، فسمى يعمر بن عوف بـ"الشداخ"، لما شرخ من الدماء ووضع [٣].

وهذا حكم في غاية القسوة على خزاعة، مما يدل على أنهما غلبت في الحرب فكان عليها أن تترك مكة وتتحمل الغرم كله، والغريب أن يصدر هذا الحكم من كناني من خزاعة، لأنه فيما بعد سيكون بنى كعب من ألد أعداء بني هاشم بن عبد مناف وهم قادة قريش [٤].

ويقال إن قصيا لم يحتاج إلى محاربة خزاعة، لأن رزاحا لما ورد مكة، وأذعنت لقصي وهابت حربه، وخرجت عن مكة، فدخلها [٥].

---

(١) ولأن المعركة التي جارت رحاها بين الفريقين قد كانت في موضع يفضي على منى، فقد أطلق على هذا المكان "المفجر" لكثرة الدماء التي سالت فيه. انظر: الأزرقي: أخبار مكة ٥٩/١، تاريخ العنقوبي ٢٣٨/١.

(٢) في الأصل: حرجاً وهو تصحيف والأصح: خرج كما أتيناه ويراد به وعاء يوضع فيه الطعام. انظر: حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٠ [٢].

(٣) ابن هشام ١١٥/١، ١٣٠ ، ١٣٥- ١٣٦، ابن سعد: الطبقات. ٦٨/١١- ٦٩، الأزرقي: أخبار مكة ٥٩/١، ١٠٤- ١٠٦.

(٤) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٠.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ٥٠/١.

هناك من يذهب إلى أن القيصر (الدولة البيزنطية) إنما قد أعان قصياً على خزاعة [(١)]، فإذا كان ذلك كذلك، فربما كان الغساسنة هم وسيلة قيصر إلى ذلك، وربما كانت قبيلة عذره – التي تربى فيها قصي – هي التي قامت بهذا الدور، بخاصة وأنها من القبائل المتنصرة، التي كانت تعيش على مقربة من النفوذ الروماني بالشام، والذي ربما كان يمتد إليها كذلك، وهنا ولعل أقرب الفروض إلى الصواب، أن تكون المساعدة الرومانية لقصي عن طريق واحد من حكام الولايات الجنوبية بالشام، بصرى، في شكل مساعدة مالية، أي من حكام المقاطعات الجنوبية مثل بصري أو بإيعاز إلى إحدى القبائل الظاعنة حول الحدود الفلسطينية، وهم الغساسنة وهم حلفاء الروم[(٢)]، بمساعدة قصي وذلك تعويضاً لخسارة الرومان في اليمن، حيث تولى الحكم فيها ملوك حمير اليهود بعد طرد الأحباش حلفاء الروم هناك، ومن ثم كان حرص الروم على مساعدة حليف لهم في الاستيلاء على مكة، وربما حدث ذلك في أوائل القرن الخامس الميلادي أو بعد ذلك بقليل، كما أن سلسلة نسب محمد صلى لله عليه وسلم، إلى قصي تؤيد هذا الافتراض، إذ أن بينهما ستة أجيال، أي ما يمكن أن يبلغ بالسنوات نحواً من قرنين، مما يجعل قصياً رجلاً في الثلاثين تقريباً في سنة ٤٠٠ للميلاد [(٣)]، على أن هناك من يرى أنه ولد سنة

---

(١) ابن قتيبة: المعارف ص٣١٢، ٦٤٠- ٦٤١، وكذا جواد على ٣٨٩/٣، وكذا Lammenes, H., La Mecque a la Veille de L'Hegire, Beyrouth, ١٩٢٤, P.٢٨٩.

(٢) جواد علي ٣٩/٤، وكذا موتتجمري وات، و، : محمد صلى الله عليه وسلم، في مكة، ترجمة د. عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى، مراجعة د. أحمد شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجموعة الألف كتاب الثانية، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٦٦.

(٣) فكتور سحاب: إيلاف قريش، رحلة الشتاء والصيف، بيروت ١٩٩٢م، ص٢٠١- ٢٠٣؛ Peters, F. E., The Commerce of Mecca Before Islam, (in) A Way Prepared, Essays on

٤٠٠م تقريباً واستولى وهو في الأربعين من عمره على مكة [1].

لقد كان واضحاً تماماً في الروايات العربية الإسلامية – وهي إذا افتُرض أنها لم تعبر عن واقعات تاريخية، فهي على الأقل تعبر عن مفهوم القريشيين للسلطة في مكة – أن ولاية البيت ومفتاح الكعبة والمؤسسات المواكبة – كما سيأتي – لهذه الولاية هي التي كانت موضع الصراع [2].

يقول ابن هشام: "فولي قصي البيت وأمر مكة ... إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان وغدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه.." [3].

إن ما ذكره ابن هشام في ذلك يثبت أن النسيء والإجازة من عرفات والمزدلفة كانت قائمة قبل قصي، فإن أمر المؤسسات الأخرى كالحجابة والسقاية والرفادة ليست واضحة تماماً، وقد يكون بعضها سابقاً، وقد لا يكون، إلا أن عصر قصي، كان عصراً تأسيسياً مهماً للتنظيم، الذي نشأ

=

Islamic Cuture in Honor of Richard Bayly Winder, Edited by Farhad Kazem and R.D. Me Chesney, New York Universityu Press, New York and London, ١٩٨٨, p. ١١.

(١) عرفان محمد حمور: أسواق العرب، دار الشورى، بيروت ١٩٧٩م، ص٣١- ٣٢، وكذا إبراهيم بيضون: الحجاز والدولة الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م، ص٣٦- ٣٧.

(٢) راجع في هذا: ابن هشام ١/١٣٥- ١٣٦، وكذا الأندلسي: نشوة الطرب، ص٢١٣- ٢١٥، وكذا المحبر ص١٦٤- ١٦٥، وكذا Crone, P., Meccan Trade and the Rise of Islam, Princetion University Press, ١٩٨٧, p. ١٨٨.

(٣) ابن هشام ١/١٣٦- ١٣٧. وقارن:

الأندلسي: نشوة الطرب ص٢٢٣- ٢٢٥، وكذا البلاذري: أنساب الأشراف ص٤٩- ٥٣.

وتطور حول الحرم المكي في الجانبين الديني والتجاري معها، لأنه على الأقل طوّر وظائف القيام على خدمة الحرم المكي، وربما استحدث وظائف ذلك معرفته وقف على معرفة ما كان قبله، وهو غير ميسور حتى الآن [١].

تبدى كرون [٢] Crone اغتباطاً بنفي فلهاوزن [٣] Welhausen قيام حج إلى مكة، على أساس أن الحج كله تقريباً، حتى في الإسلام يحدث في خارج المدينة، أي مكة، وتقول في هذه الحجة إنها "مسألة يصعب رفضها". وهذا أمر مفهوم وليس من داع إلى رفضها، ولا حتى مناقشتها، طالما أنها تؤيد مقالة كرون برأي من باحث ذي صيت ومكانة [٤]، ولكن كرون تسعى مع ذلك إلى تعزيز حجتها لنفي أي دور لمكة، فتصف شعائر الحج ولا تغفل منها إلا الطواف بالبيت والتلبية، أي الأساس والمنتهى. ثم تضيف أن "الزيارات" إلى مكة ربما أضيفت إلى هذه الشعائر بعد الإسلام [٥].

وهكذا تزعم قصي قومه فملكوه عليهم، فكان أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً وأطاع له به قومه، وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء – كما سيأتي – فحاز شرف قريش كله، وفي ذلك قال الشاعر [٦]:

(١) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٨٨- ٢٨٩.

(٢) Crone, P., op. cit., P. ١٧٢.

(٣) Cf. Welhausen, J., Muhammed in Medina, Berlin, ١٨٨٢.

(٤) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٤٢٦.

(٥) Crone, P., op. cit., P. ١٧٢.

(٦) الفاكهي: أخبار مكة ٢٥٩/٣- ٢٦٠، ٣١٠.

ونقلاً عن الفاكهي أنه لحذيفة بن غانم بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، أخباره في =

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً به جمـــع الله القبائل من فهر

والمراد بـ "فهر" هنا بقية بطون قريش من غير أبناء لؤي بن غالب [١].

ويذهب أحد الإخباريين إلى أن مكة لم يكن بها بناء غير الكعبة إلى أن تولى قصي أمرها، ويعلل ذلك بأن جرهم وخزاعة لم يريدا أن يكون إلى جوار بيت الله بيت غيرهما، وأنهم لم يكونا يقيمان ليلهما بالحرم، وإنما كانا يذهبان إلى الحل [٢].

وكان مبتدأ قطائع الرباع (الخطط أو الأحياء) بمكة يرجع إلى قصي ابن كلاب، حيث لما فرغ من حرب خزاعة جعلته قريش رئيساً عليها، ومن ثم، واستقام له العز بمكة، وجمع قريشاً له وكان يقال له "المُجَمَّع – فيما يذكرون لما جمع من أمرهم بعد تشتتهم. ومن ثم فقد قطع مكة رباعاً له ولقومه من قريش، فأنزل كل قوم منازلهم، ربما أنه ميز بين قريش البطاح، وهم المجموعة التي تزعمها قصي وقام بها بعمله الكبير، ومن ثم فهم أولئك الذين يعيشون حول الكعبة مباشرة [٣]، أو قريش الأبطح، وهو واد بمكة[٤]،

=

نسب قريش ص٢٧٥. وقيل إن هذا الشعر لأخيه حذافة، وأكثر المصادر ذكرته لحذافة مع أبيات أخرى، انظرها في نسب قريش للزبيري ص٢٧٥، البلاذري: أنساب الأشراف ١/٥٠، ٦٦، المنمق ص١٤، ابن سعد: الطبقات ١/٧١، ابن هشام ١/١٨٤.

(١) جواد علي ١/٤٠١، وكذا حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ١/١٨.

(٣) مونتجمري وات، و. : المرجع السابق، ص٥٤، وكذا حسين مؤنس: المرجع السابق، ص٨٨، ٩٠.

(٤) عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢١. قريش البطحاء هو بطون كنانة التي استمر فيها نسب قريش ومعظمها بطون كعب بن لؤي وأهمها هنا:

١- كعب بن لؤي. ٢- عامر بن لؤي. ٣- مرة بن كعب. ٤- هُصيص بن كعب بفريمهم. ٥- سهم

=

وهو أكرم بقاعها [(١)]، وقريش الظواهر، وهم الذين يعيشون خارج مكة وتوزعوا في الشعاب والمرتفعات [(٢)]. وهناك قرشيون استوطنوا الطائف وغيرها، حيث اتخذوا الأموال والمزارع، فلم ينسبوا إلى ظواهر ولا إلى بطاح [(٣)] وهناك من روى أن في قريش من ليس بأبطحية ولا ظاهرية [(٤)]. ولا شك أن هذا التميز موجود، ومن الطبيعي أن نفترض أنه يعود إلى الرجل الذي خصص الأرباع في بداية بناء مكة، حيث خص سلالته وكذلك سلالة جده كعب إلى قريش البطاح [(٥)].

إن قصياً – بعد ذلك – بني لنفسه في بطن مكة بيتاً وتبعه بقية بيوت

=

بن هُصَيْص. ٦- جمح بن هُصيص. ٧- تيم بن مرة. ٨- يقظة بن مرة، وهم مخزوم.

البطون والبيوت التي انحدرت من قصي وهي: ٩- بنو عبد مناف بن قصي. ١٠- بنو عبد الدار بن قصي. ١١- بنو عبد العزى بن قصي. ١٢- بنو عبد بن قصي. ١٣- ثم بنو زهرة بن قصي ومن تفرع عنهم وهم: ١٤- بنو عبد الحارث بن زهرة. ١٥- بنو عبد مناف بن زهرة بفرعيهم: وهب بن عبد مناف بن زهرة، ووهب بن عبد بنو مناف بن زهرة. ومن عبد مناف بن قريش يتفرع: ١٦- بنو هاشم بن عبد مناف. ١٧- بنو المطلب بن عبد مناف. ١٨- بنو عبد شمس بن عبد مناف. ١٩- بنو نوفل بن عبد مناف. و. وفي أيام قضي بن كلاب اقتصرت قريش البطاح على البطون من ١- ١٩، وانضمت إلى قريش البطاح بيوت بني صنة من بني عذرة وهم قوم حرام بن ربيعة من ضنة أخي قصي لأمه. انظر: جود على ٤٠١/١- ٤٠٢، ٢٧/٤- ٢٨، وكذا حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٣- ١٠٤.

(١) خليل عبد الكريم: قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية: الطبعة الثانية، بيروت، القاهرة: ١٩٧٧م، ص٣٥.

(٢) جواد علي ٨/٤- ٩، ٢٧/٤- ٢٩، وكذا عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٠١.

(٣) سعيد الأفغاني: أسوان العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٩٧.

(٤) تاج العروس: مادتي: بطح، ظهر، وكذا لسان العرب: مادتي: بطح، ظهر.

(٥) مونتجمري وات، و. : المرجع السابق، ص٥٥.

قريش البطاح، فبنوا البيوت، فانتهى بذلك عصر البداوة في تاريخهم [(١)].

وإذا كنا في جهل من أمر تاريخ مكة قبل عهد قصي بن كلاب، وقبل تمركز قريش في مكة، فإن هذا لا يجوز بالقبول بأن تاريخها لم يبدأ إلا بظهور قريش فيها وبتزعهم قصي بن كلاب لها، وإن ما يروى من تاريخها عن قبل هذه المدة هو قصص لا يعبأ بها، لأن ما يورده أهل الأخبار من روايات تفيد عثور أهل مكة، قبل عصر الرسول صلى الله عليه وسلم على قبور قديمة وعلى حلي وكنوز مطمورة وكتابات غريبة عليهم، يدل كل ذلك على أن المدينة، أي مكة، كانت مأهولة قبل أيام قصي بن كلاب بزمن طويل، هناك من يذكر أن الخزاعيين ومَنْ قبلهم لا يسكنون مكة، بل يكونون فيها بالنهار فقط، أما في الليل فيكونون في خيامهم. قال اليعقوبي: "ولم يكن بمكة بيت (كذا في الأصل، والأصح: مبيت، وإنما كانوا يكونون بها نهاراً. فإذا أمسوا خرجوا [(٢)]. وأن مكة كانت موجودة قبل هذا التاريخ، وأن تاريخها لذلك لم يبدأ بابتداء ظهور أمر قصي، ونزول قريش مكة في عهده [(٣)].

ومن ثم كانت أمور مكة في يد قريش، ولها وحدها الهيمنة على هذه المدينة، حتى عرف سكانها بـ (آل قصي)، فكان أحدهم إذا استغاث أو استنجد بأحد، صاح: (يا لقصي)، كناية عن أنهم (آل قصي)، كما يظهر

---

(١) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٤- ١٠٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢٣٨/١- ٢٣٩، حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٠٠.

(٣) أحمد محمود صابون: المرجع السابق، ص٨٠- ٨١.

ذلك في البيت التالي [(١)]:

يال قصي لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنَّفَر

هناك باحث [(٢)] يذهب إلى أن رواية استيلاء قصي على مكة يتضح فيها أمران: (أولهما) أن رواية نشوء قصي في غير قومه، وعودته إليهم ليستولي على الحكم، هي أشبه بسير أبناء الملوك، الذين يُخَبأون في طفولتهم في كنف فلاح [(٣)]، فإذا شبوا وعرفوا نسبهم خرجوا من مخبئهم ليستولوا على الحكم. على أن هناك من يبين أن هذه الرواية الشعبية غرضها إسباغ الصفة الشرعية على من يستولي على الحكم من أهله، وإثبات حقه وانتمائه إلى بيت المُلك [(٤)]. فإذا كانت هذه أسطورة وُضعت بعد الإسلام، فقد ترمي عندئذ إلى إضفاء السمة الشرعية على دخول قبيلة قريش مدينة مكة. أما إذا كانت من المأثورات التي سبقت الإسلام وتناقلتها الألسن حتى كتبها أصحاب السير والتاريخ الإسلامي، فقد تعني أن استيلاء قريش على مكة لم يكن مجرد حركة قبلية يحل فيها قوم محل قوم، بل كان حدثاً سياسياً ذا شأن ومغزى في حياة الناس في حينه، وليس من سبيل لنتيقّن من أي الاحتمالين هو الصحيح، لكن الاحتمال الثاني، لو صح، لكان حافزاً آخر على الاشتباه في أن الصراع الدولي كان له بعض الأثر في هذه الحركة القبلية.

---

(١) الأحكام السلطانية: ص٧٨- ٧٩، وكذا جواد علي ٢٢/٤.

(٢) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٠٣.

(٣) انظر: عن سرجون الأول الأكدي: محمد بيومي مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، (١٠) تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٢٥- ١٢٦.

(٤) سيجموند فرويد: النبي موسى ورسالة التوحيد، ترجمة ودراسة د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢٩- ٣٠.

أما الأمر (الثاني) الذي تبينه هذه الرواية، فهو أن مكة كانت حرماً ومحجة قبل أن تستولي قريش عليها، خلافاً لما يظنه بعض الباحثين، حيث اقترن حج المقامات بمواسم لتجارة في شبه الجزيرة العربية، وهذا الأمر يعزز فكرة قيام حركة تجارية ما في مكة وحولها، ويؤيد بالتالي احتمال طموح الدولة البيزنطية إلى السيطرة عليها، عن طريق حلفاء لها [١].

ولا ريب في أن هذا الزعم قد جانبه الصواب على حد كبير، وذلك لأسباب منها (أولاً) أن قصياً إنما هو شخصية حقيقية قد عاشت في فترة لا تبعد كثيراً عن الإسلام، ومن ثم فلا يمكن القول أن الخيال قد اختلط بالتاريخ فيما يدور حولها من أحداث [٢]، حيث أن قصر سلسلة النسب، التي تربط الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بقصي (محمد بن عبد الله بن هاشم بن عبد مناف بن قصي)، بالمقارنة مع سلاسل النسب الطويلة التي حرص العرب على حفظها ومعرفتها ربما أكثر من حرص أي شعب آخر عليها، تدفعها إلى الشك في نظرية هارتمان، خصوصاً أن قصياً كان بموجب هذه السلسلة، والد جد عبد المطلب، جد الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي ربما يضع سنوات في كنفه، وليس من شك في أن يبين شيوخ مكة الذين أدركوا الإسلام من عاصر عبد المطلب وغيره، فمن رَوَوْا تواريخ أنسابهم القريبة، ولم يكن معتذراً أن تُحفظ ذكريات عمرها قرن ونصف قرن أو حتى قرنان حفظاً معقولاً، رغم أن الذكريات بهتت وغمضت لأنها تُنو قِلت برواية كابر عن كابر، حتى تسنى لها من يكتبها بعد ظهور الإسلام [٣].

(١) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٠٣.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٠٣.

(٣) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٨٧.

(ثانياً) أن القرشيين أنفسهم قد سبقوا هؤلاء المتشككين من المستشرقين على القول، بأنهم يرتبطون بالأنباط [١] بصلات القربى حتى أن "ابن عباس" قد أعلن منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً "نحن معاشر قريش من النبط، من أهل كوثاريا، قيل إن إبراهيم ولديها، وكان النبط سكانها"[٢]، فضلاً عن أن لغة الحجاز لم تتطور من اليمنية مباشرة، وإنما جاء التطور من العربية القديمة إلى الفينيقية إلى الآرامية إلى النبطية إلى القرشية [٣]، ومن ثم فإن القرابة بين الأنباط والقرشيين أمر معروف، وما أتى المستشرقون بجديد فيها.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن قريش هذه – كما يجمع المؤرخون الإسلاميون – إنما هي من نسل رجل واحد، هو "فهر بن مالك بن النضر بن كنانة"، من ولد إسماعيل عليه السلام، وأن اسم قريش لم يعرف إلا منذ أيام "فهر" [٤]. ومن ثم فقريش هم "فهر"، ومن تحدر من صلبه من

(١) انظر: عن الأنباط والآراء التي دارت حول موطنهم الأصلي ثم عروبتهم: محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٩٣- ٥٠٧، وكذا سليمان بن عبد الرحمن الذبيب: "الموطن الأصلي للأنباط"، الدارة، العدد الثاني، السنة الحادية والعشرون، ١٤١٦هـ، ص٦٧- ٨٠.

(٢) لسان العرب ٤١١/٧.

(٣) محمود عباس العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء، دار الهلال، القاهرة (بدون تواريخ)، ص١٣٦- ١٣٧، وكذا عبد الرحمن الطيب الأنصاري: "لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية"، مجلة الدارة، العدد الأول، الرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص٨٩، وكذا فيليب حتى: تاريخ العرب، الجزء الأول (مطول)، ترجمة إداورد جرجس، جبرائيل جبور، بيروت ١٩٦٥م، ص١٠٨- ١٠٩، وكذا The Universal Jewish Encyclopedia, I, P. ١٩٨; Spreling, M. The Alphabet, its Eise and Development from the Sinai Inscriptions Chicago. ١٩٣١, P.٥٢.

(٤) هناك بعض النسابين يقولون إن النضر هو قريش، والبعض الثاني يقول إن ابنه فهر هو قريش، أما الثالث فيرى أنه قصي، وأخيراً يخلد ابن النضر. انظ: جواد علي ١٨/٤- ١٩، وكذا حسين مؤنس: =

سكان مكة وظواهرها [١].

وأما أقدم ذكر لقريش في النصوص العربية الجنوبية القديمة، فربما كان – كما أشرنا من قبل- يرجع على أيام العزيلط، ملك حضرموت، الذي حكم في القرن الأول قبل الميلاد، على رأي، وفي القرن الثالث الميلادي على رأي آخر [٢]، فهناك ما يشير إلى أن عشر نساء قرشيات رافقن الملك العزيلط إلى حصن الملكي أنود، فإذا كان النص يعني حقاً بقريش، قريش صاحبة مكة، فإننا نكون قد وقفنا لأول مرة على اسم قريش في وثيقة مدونة من عصر الملك [٣]، وأن قريش كانت على اتصال ببعض بطونها بجنوب شبه الجزيرة العربية أيضاً [٤].

ولعل هذه الأحداث هي التي كانت سبباً في أن يذهب بعض المستشرقين، الذين اعتادوا الشك في كل رواية عربية أو إسلامية، إلى أن

=

المرجع السابق، ص٦٩- ٧٣.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ٣٩/١، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، ص٩، ابن سعد: الطبقات ٥٥/١، ابن هشام ١٠٣/١، ابن قتيبة: المعارف ص٣١، شفاء الغرام ٦٣/٢- ٦٤، نسب قريش للزبيري ص١٢، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص١٢، تاريخ ابن خلدون ٣٢٤/٢، قارن الاشتقاق ٢٧/١.

(٢) فؤاد حسنين: المرجع السابق، ص٢٧٤- ٢٧٩، وكذا Von Wissmann, H. and Hofiner, M., Beitrage Zur Historlschen Geographle des Vorislamischen, Sudarabien, Wiesbaden, ١٩٥٣, p. ١١٤; Albrlght, W. F., "The Chronology of Ancient South Arabia in the light of the First Campaign of Excavation in Qataban," BASOR, ١١٩, ١٩٥٢, p. ١٤.

(٣) جواد علي ١٤٥/٢ وكذا Von Wissman, H. "Himyar Ancient History", Le Museon, ٣ ,١٩٦٤- ٤, p. ٤٨٤.

(٤) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٠٠- ٢٠١.

قصياً إنما هو شخصية خيالية، ابتدعها خيال الإخباريين الإسلاميين على زعم، وشخصية حربية جاءت من شمال غرب شبه الجزيرة العربية والمشارف العربية الجنوبية للشام، على زعم آخر، حيث أن هناك من يرى أن قصي نفسه لم يحظ بقبول كل المؤرخين أنه شخص حقيقي، وقد استند إلى نص نبطي ورد عليه اسم "قصي"، ليقول إن قصياً كان شبه معبود عربي قديم، انتقلت عبادته من الأنباط إلى مكة مع دخول قريش مكة، وأن قصياً شخص أسطوري مثل كنانة وقريش، وأن أسطورته دخلت مكة نحو سنة ٣م تقريباً (١).

على أن هناك من الأسماء الواردة في النصوص الصفوية: (قصيو) أي قصي. وقد ورد اسم (قصيو بن كلبو)، أي قصي بن كلاب، في أحد النصوص، وأنه كان من رجال الدين (٢).

لقد استدل بعض المستشرقين على ذلك استناداً إلى الأقاويل التي رواها ابن الكلبي وابن جريج عن قصي بن كلاب، وهي ذات طابع قصصي، غير أن هذه المرويات لا يمكن أن تكون دليلاً قوياً وسنداً يستند إليه في إنكار وجود رجل اسمه قصي، وإذا كان ما قيل عنه خرافة، فلن تكون هذه الخرافة سبباً لإنكار وجود شخص قيلت عنه (٣).

أحد الباحثين يذكر أن النقوش المحفورة على صخور الطريق بين

(١) Martman, M., "Qusaij", Zeitschrift fur Assyriologie, XXVII, ١٩١٢, ss. ٤٥- ٤٦.

(٢) رينيه ديسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، القاهرة ١٩٥٩، ص١١٦، وكذا جواد علي ١٥٣/٢.

(٣) جواد علي ٥٨/٤.

ديدان (العلا) والحجر (مدائن صالح) ، بهما نقشان ورد فيهما الاسم "كاسيس"، والاسم "ماجنوس كاسيس". ووصف صاحبا الاسمين في النقشين بأنهما من الهجانة [(١)]. ويلاحظ أن الاسم "كاسيس" نبطي محور إلى النطق اليوناني، حيث يغلب على الظن أنه من الاسم البنطي "قيصو"، الذي أصبح في العربية "قصي" [(٢)]، بل ويبلغ الخيال أشده بهؤلاء المؤرخين الأوربيين حين يزعمون أن قريشاً نفسها – تلك القبيلة التي نجحت في أن تحكم مكة وأن تنقلها من مرحلة البداوة إلى زعامة شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، وشمال غربها، بصفة خاصة، وأن تنشئ لنفسها من التنظيم السياسي والاقتصادي والديني ما يكفل لها هذا التقدم، وما يدل على معرفة كبيرة بشئون الحكم والاستقرار – لا يمكن أن تكون من هذه القبائل المتبدية في تهامة والحجاز، ومن ثم فلابد أن تكون – فيما يزعمون – قد قَدِمَتْ من الشمال، أو من وديان العراق، وربما كانت بقايا الأنباط، الذين قضى الرومان على دولتهم في أوائل القرن الثاني الميلادي، بخاصة أن قريشاً قد برعت في التجارة، التي برع فيها من قبل، كما أن لغتها التي سادت بلاد العرب، إنما هي لغة شمالية أكثر منها جنوبية [(٣)].

---

(١) Seyrig, H., "Postes Romains sur la Route de Medine", Syria, Tome ٢٢, ١٩٤١, nos. ٥, ٦, p. ٢١٩.

(٢) عبد المنعم عبد الحليم سيد: "صلات الأنباط بمصر من خلال النقوش النبطية على صخور الحجاز وصحراء مصر الشرقية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، المجلد الأول، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٨.

(٣) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، القاهرة ١٩٦٥م، ص١٠٥-١٠٦، وكذا شوقي ضيف: العصر الجاهلي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٤٩، وكذا Lammens, H., op. cit., pp. ١٤٨-١٦٤.

ومنها (ثالثاً) أن هناك في المراجع العربية ما يشير إلى أن قريشاً عندما طردت خزاعة من مكة، فإن بعضاً من رجال خزاعة قد وهب مسكنه، ومنهم من باعه، ومنهم من أسكنه، مما يدل على أن مكة إنما كانت عشية تسلم قصي زمام السلطة فيها مأهولة بسكانها من الخزاعيين، فما فعل قصي إلا أن أحل قريشاً مكان خزاعة، بعد أن كان بعض منها يسكن الشعاب ورؤوس الجبال – كما أشرنا من قبل – ويؤيد هذه الحقيقة أن القرآن الكريم إنما يسمي مكة "أم القرى"، حيث يقول سبحانه وتعالى: (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها) [(١)]، ويقول: (ما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً) [(٢)]. وبديهي! أن ذلك إنما يعني أن مكة كانت عاصمة المنطقة وقت ذاك، وأن أهل المنطقة إنما كانوا يعرفون هذه التسمية التي أطلقها القرآن الكريم على مكة، كما أن مكة هذه لن توجد بين عشية وضحاها، أو أن العمران يتطور فيها إلى أن تصبح عاصمة للحجاز فيما بين عهد قصي والبعثة النبوية الشريفة، وهي فترة لا تزيد كثيراً عن قرن

---

(١) سورة الشورى: آية ٧، وانظر: تفسير النسفي ١٠٠/٤، تفسير أبي السعود ٢٩/٥، الكشاف ٢٧٥/٢، تفسير البيضاوي ٢٥٣/٢، تفسير الطبري ٨/٢٥- ١٠، تفسير القرطبي ١٦/٣٦، تفسير الطبرسي ٣٨/٢٥- ٣٩، تفسير روح المعاني ١٣/٢٥- ١٤، تفسير ابن كثير ١٨٨/٦- ١٩٠، تيسير العلي القدير ٥٦٤/٣، وانظر: سورة الأنعام: آية٩٢.

(٢) سورة القصص: آية ٥٩، وانظر: تفسير البيضاوي ١٩٨/٢، تفسير الطبري ٦٥/٢٠- ٩٦، تفسير روح المعاني ٩٨/٢٠، تفسير الطبرسي ٣٠٥/٢٠- ٣١٠، تفسير ابن كثير٢٩٥/٣- ٢٩٦ (دار إحياء التراث العربي) تفسير القرطبي ٣٠١/١٣- ٣٠٢، تيسير العلي القدير ٢٧٣/٣، في ظلال القرآن ٢٦٩٦/٢٠- ٢٦٩٧، ٢٧٠٤- ٢٧٠٥، (بيروت ١٩٧٤م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل للزمخشري ١٨٦/٣.

ونصف قرن من الزمان [١].

ومنها (رابعا) أن مكة إنما تقع على طريق القوافل بين جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها، فضلا عن أنها قريبة من البحر الأحمر، ومن ثم فمن غير المعقول أن نتصور مكة، ولها مثل هذا الموقع الجغرافي المتاز، دون أن تتصل بالعالم الخارجي، وتأخذ عنه بأسباب الحضارة، وقد فعلت مكة ذلك منذ أيام خزاعة على الأقل [٢].

إنجازات وأعمال ونشاطات قص بن كلاب

(أولاً) دار الندوة [٣]:

من أهم أعمال قصي بن كلاب، حيث يجتمع تحت رياسته – لبحث شؤون مكة، وكان يلتئم في الدار أيضا مجلس العائلة أو نادي القوم، لا بين شيوخ قريش فحسب، بل بين شيوخ القبائل الأخرى على شريطة أن يكون الواحد منهم قد بلغ الأربعين من عمره، دون ولد قصي [٤]، لتداول الشئون

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٠٤- ٤٠٥.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص ١٠٧- ١١٠ وكذا محمد حسين هيكل المرجع السابق، ص ١١٠ وكذا محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٤٠٥.

(٣) لمزيد من الدارسة والتفصيل، أنظر: عدنان محمد فايز الحارثي: " دار الندوة في الجاهلية والإسلام، دراسة تاريخية حضارية "، (مخطوطة)، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١- ٢٨.

(٤) الأغانى ٣٨٤/٤؛ الالوسى ٢٤٨/١؛ المقدسى ١٢٧/٤؛ الأزرقى: أخبار مكة ١٠٨/١- ١٠٩، ياقوت ١٨٦/٥- ١٨٧؛ تاريخ الطبرى ٢٥٧/٢- ٢٥٩؛ تاريخ اليعقوبى ٢٤٠/١، تاريخ ابن خلدون ٣٣٥/٢؛ شفاء الغرام ٨٦/٢- ٨٧؛ عبد الحميد العبادى: المرجع السابق، ص ٨- ٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١، ص ٣٦٧ وكذا Hitti, P.K., History of the Arabs, London ١٩٦٠,P. ١٠٤.

الخاصة بالبطون والأفخاد، ومن ثم فقد كانت دار الندوة بمثابة ناد للعرب، بل ملاذهم في جميع المشكلات، سواء كانت هذه المشكلات جماعية أو شخصية (١). ولا شك في أن الثراء كان من المؤهلات للنفوذ السياسي في هذه المجالس، لكن السن وقوة العشيرة والخبرة والحكمة كانت من القيم المكية المرموقة.

لم تكن دار الندوة للشورى فقط، بل كانت جميع الأمور المهمة تتم بين جدرانها، كعقد ألوية الحرب، وخروج قوافل التجارة وعقود النكاح، فما كان لرجل ولا إمرأة أن تتزوج إلا فيها، وما كان لفتاة من قريش أن تدرع إلا فيها، ومن ثم فقد كان صاحب الدار أن يشق درعها بيده، وكان القوم يفعلون ذلك ببناهم إذا بلغن الحلم، وربما كان الغرض من ذلك التعريف بالبالغين من قريش – ذكوراً كانوا أم إناثا (٢).

لم تكن في قرارات دار الندوة ما ينم عن أي نوع من أنواع القسر، بل كان التزام الإجماع والتقليد والعرف يوحى للمكيين سلوكا جماعيا يبدو اختياريا (٣). على أن هناك من يرى أن قرارات مجلس الملأ (٤) لم تكن ملزمة للقبائل إلا عند الإجماع، ولذا لم يكن لعشيرة سلطان على عشيرة، بل كانت

(١) محمد رضا: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، القاهرة (بدون تاريخ)، ص ١٢.

(٢) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص ٤٠٦.

(٣) الفاكهى: أخبار مكة ٣/٢١٠- ٣١٣؛ الأرزقى أخبار مكة ١/١٠٨، عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢٠١- ٢٠٢، مرنتجمرى وات، و.: المرجع السابق، ص ٦١- ٦٢. Rabbath, E., L Orient Chretien a Ia Veille de L Islam, Pablications de L Universite Libanaise, Beyrouth, ١٩٨٠, p. ١٧٣.

(٤) مجلس املأ: مجلس مصدر السيادة المكية. أنظر فكتور سحاب: المرجع السابق، ص ٢٩٣.

العشائر حرة تماما، لكن اشتراكهم معا في المصلحة كان يختلف من غلواء هذا الأمر [١]، وبذلك عدت دار الندوة مقراً للحكم المركزي الوليد، إذ كانت تشبه إلى حد ما أعضاء الإكليسيا (مجلس الشيوخ الآثيني) والسناتو في روما [٢]. هذا إذ لم يحدثنا التاريخ العربي القديم عن دار مثلها في أي بقعة في شبة الجزيرة العربية [٣].

(ثانياً) حجابة الكعبة:

وهى رعاية البيت وخدمته وتولى أمره وفتح بابه وإغلاقه وتنظيفه [٤]، والسادن، هو خادم الكعبة ومتولي أمورها [٥] ولعلها من أهم أعمال قصي بن كلاب – أيضا – حيث جعل وظيفة "سدانة الكعبة"، هي خدمة البيت الحرام.

(ثالثاً) الرفادة والسقاية:

كانت الرفادة خرجاً تُخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب، فيصنع به طعاما للحاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق، ص ١١٢- ١١٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٣٦٧ ؛ مونتجمرى وات، و: المرجع السابق، ص ٦١- ٦٢

(٣) خليل عبد الكريم المرجع السابق، ص ٤٤- ٤٥ .

(٤) ابن الضياء (محمد بن محمد بن أحمد): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق عادل عدوى، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٦٨ وكذا حسين عبد الله باسلامه: حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدينة، الجزء الأول، تحقيق بعض رجال العلم، الطبعة الثانية ، دار مصر للطابعة، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٤١.

(٥) لسان العرب ٦/ ٢٢٠.

زاد وكان قصي قد فرضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، أهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله (وأهله) وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم، ففعلوا ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا، فيدفعون إليه، فيصنعه طعاما للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى جاء الإسلام، ثم جرى في الإسلام(١). ومن ثم فهذه فكرة ذكية، من قصي، حيث اجتذبت الناس للحج إلى البيت (٢).

لقد أوتى قصي ملكة التعرف على مواقع الآبار، وهى ملكة توجد في بعض الناس ، وخاصة أهل المناطق الجافة، وجدير بالذكر هنا أن التعرف على مواضع الماء كان من الصفات التي تؤهل الرجل ليسود قومه، إذا كان من طلاب السيادة والرياسة (٣) - مثل قصي بن كلاب – أما عن السقاية فيذكر الفاكهي (٤) أنه " حدثنا الزبير بن أبي بكر، قال : قال أبو الحسن

(١) ابن هشام ١/١٤١- ١٤٢ ، الأرزقى: أخبار مكة ١٩٥/١ ، المنمق، ص ١٩ ، الأوائل، ص ١٦- ١٧ البشيهى (شهاب الدين بن محمد): المستطرف في كل فن مستطرف، الجزء الثاني، تحقيق عبد الله الطباع، دار القلم ن بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١ ، ص ٨٢؛ ابن ضياء: ص ٧٠- ٧١ ؛ ابن ظهيرة (جمال الدين محمد بن جار الله): الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، الطبعة الخامسة، المكتبة الشعبية ، بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ٧٤ .

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ١٠٠- ١٠١ .

(٣) نفس المرجع السابق، ص ١٠٢ .

(٤) الفاكهى: أخبار مكة ١٧٣/٢ ، ٩٧/٤- ٩٩ ، ١١٣؛ وأنظر أيضا أنساب الأشراف للبلاذرى ٥١/١؛ البلاذرى: فتوح البلدان ص ٦٤- ٦٥ ؛ تاريخ اليعقوبى ٢٤٠/١ ؛ السهيلى ١٧٢/١ ؛ أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق ص ١٠٢، ١١١ ، ١١٢ ، وكذا السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق : ص ٢٢٩ ، ٣٠٠ ؛ حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

الأشرم، قال أبو عبيدة، أخبرنا خالد بن أبي عثمان ، قال: وكان أول من احتفر بأبطح مكة سقاية يشربها الحاج والناس غير زمزم ، فحفر قصي ركية، موضعا في دار أم هاني بنت أبي طالب – رضي الله عنهما – وسماها : العجول. وهى أول بئر حفرتها قريش بمكة المكرمة وكانت العرب إذا أستقوا منها أرتجزوا ، فقال رجل من (وارد بها):

تروى على العجول ثم ننطلق   إن قصيا قد وفى وقد صدق

بالشبع للحاج وري المغتبق

ويذكر أيضاً: " حدثنا الزبير بن أبي بكر، قال حدثني أبو الحسن الاثرم ، عن أبي عبيدة، قال حدثني خالد بن أبي عثمان: قال : إن عبد شمس احتفر بعد العجول : خما، وهى البئر التي عند الردم الأعلى ، عند دار عمرو بن عثمان " يقال: إن قصيا حفرها ، فدثرت، وإن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل – رضي الله عنه – نثلها، وأحياها ... وكان يقال لهما : البئر العليا وقال إسحاق : وحفر هاشم بن عبد مناف : بذر، وقال حين حفرها: لأجعلنا بلاغا للناس.

وهى البئر التي في حق المقوم بن عبد المطلب في ظهر دار مولاة زبيدة في أصل المستنذر. ويقال: إن قصيا حفرها، فثلها أبو لهب [1] .

وإذا كانت الرفادة والسقاية لا تفسران وحدهما إقبال العرب على مكة للحج والتجارة – كما سيأتي بعد – فإن إقبال العرب على مكة للحج والتجارة يستطيع أن يفسر نشوء الرفادة والسقاية، ولا بد من أن نلاحظ، أن

(١) الفاكهى : أخبار مكة ٤/٩٧- ٩٨ .

الحج لم يكن في الأصل يقترن مباشرة بمكاسب أو رسوم أو أموال تجنبها قريش أو تتقاضاها، أما التجارة فكانت مورد كسب عظيم، بل كانت المورد الوحيد للرزق في هذه المدينة الصحراوية ، ولذا يمكن أن نجزم بثقة واطمئنان، أن الرفادة والسقاية لم تقوما إلا بفضل التجارة ومكاسبها ، ولو لا هذه التجارة لما استطاعت قريش أن تخرج الخرج كل عام لإطعام الحجيج ، بل ثمة من يرتؤون أن قريشا مدينة ببقائها للتجارة.

وقد نجد في هذه العلاقة سبب ارتباط المواسم والحج بالتجارة المكية. فالتجارة هي المورد الذي أنفقت منه قريش على إعداد الخدمات لزوار البيت ، فاستطاعت أن تنشئ نظامي الرفادة والسقاية . وفي المقابل ، جلبت الرفادة على قريش كثيرا من الفوائد الأدبية والمادية .

فالمواكلة تعد عقد جوار وحلفا عند العرب ، وكان الإطعام والضيافة من أعظم المحامد. فلما كانت قريش تُطعم الحجيج من مختلف القبائل العربية فكأنما كانت تعقد جواراً مع هذه القبائل ، ولم يكن غريبا أن يسهل هذا مرور قوافلها آمنة في منازل العرب . وتعزز إحسان القبائل بالقيادة المكية ، وبتقديم قريش على سواها من العرب ، لأن الحرم المكي كان آمنا شبه مطلق ، فلا يؤخذ فيه ثأر ، ولا يُعدي على أحد ضمن حدوده كائنا ما كان السبب، وقد كان ذاك حال الأمن أيضا في شبة الجزيرة العربية في الأشهر الحرم نظريا، لكن الحرم المكي كان أمنا كل أشهر السنة، حتى للوحش والطير . وقد دانت العرب لمكة في ذلك لحاجتها إلى منطقة آمنة يغشونها لأداء شعائرهم الدينية وتبادل تجارتهم [(١)] .

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق ، ص ١١٨- ١١٩ ، ص ١٧١- ١٧٢ ؛ فكتور سحاب: المرجع السابق ، ص ٢٩٧- ٢٩٨ .

فعلى الرغم من البيت الحرام كان محجة تؤوب إليها العرب منذ أيام خزاعة على الأقل ، على ما تقوله جميع المصادر الإسلامية التاريخية ، فأن هذه المصادر قلما تذكر شيئا عن الرفادة والسقاية أو الأشهر الحرم وما إليها قبل عهد قصي بن كلاب ، فما قبله يلفه ضباب يصعب على المدقق اختراقه بمقدار – ولو مقبول – من الدقة التاريخية الجديرة ببعض الثقة [١] .

وإذا أخذنا قول ابن هشام: " فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف، على ما كانوا عليه " [٢]، على أنه يثبت أن النسيء والإجازة من عرفات والمزدلفة كانت قائمة قبل قصي . وأن أمر المؤسسات الأخرى كالحجابة والسقاية والرفادة ليست واضحة تماما ، وقد يكون بعضها سابقاً لا يكون [٣]

(رابعاً) اللواء :

هو رياسة الجيش – ويسند بيده لمن بيده اللواء ، يسلمونه إليه عند قيام الحرب، وكان يعقد لقريش ألويتها [٤] .

وعلى أية حال ، فلقد قسم قصي مؤسساته بين ولده: فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف ، والدار لعبد الدار ، والرفادة لعبد العزى، وحافتي الوادي لعبد قصي.

---

(١) فكتور سحاب : المرجع السابق، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن هشام ١/١٣٦- ١٣٧ .

(٣) فكتور سحاب : المرجع السابق، ص ٢٨٨ .

(٤) لمزيد من التفصيل أنظر : ابن الأثير ٢/٢١- ٢٣ ؛ تاريخ الطبرى ٢/٢٥٨ – ٢٦٠ ، ابن هشام ١/١٣٤- ١٤٢ ، ياقوت ٥/١٨٧٦ ، ابن سعد : الطبقات ١/٤١ ، تاريخ اليعقوبى ١/٢٤٠- ٢٤٢ ، الأزرقى : أخبار مكة : ١/٦٢ ، ١٧٢ .

وقال قصي لولده: من عظم لئيما شاركه في لؤمه ، ومن استحسن مستقبحا شركه فيه، ومن لم تصلحه كرامتكم فداووه بهوانه ، فالدواء يحسم الداء [١] .

تجع المصادر العربية الإسلامية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألغى المناصب – التي أسسها قصي بن كلاب – جميعا يوم فتح مكة ، إلا سقاية الحاج وسدانه الكعبة [٢] .

(خامساً) عمارة البيت الحرام:

كان قصي شديد العناية بعمارة البيت الحرام ، الذي يزعم أنه هو أول نم جدد بناء الكعبة – قريش – بعد إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام [٣] ، ثم سقفها بخشب الدوم وجريد النخل [٤] ، كما كان أول من أظهر الحجر الأسود بعد أن دفنته " إياد " في جبال مكة [٥] ، ثم أوكل أمره

(١) حسين مؤنس : المرجع السابق، ص ١٠٦ .

(٢) العقد الفريد ٣١٣/٣- ٣١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٣١٠/٤ ، تاريخ الطبرى ٦٠/٣- ٦١ المقدسي ١٢٧/٤- ١٢٨ ، الأرزقى أخبار مكة ١١٠/١- ١١١ ، ١١٤- ١١٥ ، شفاء الغرام ٢/ ١٢٠ .

(٣) الفاكهى : أخبار مكة ٢٧٣/٢ ؛ محمد رضا: المرجع السابق ؛ ص ١٢ . ولكن هناك من يعطى قائمة منها أنه قبل قصي بنيت ست مرات، أنظر: الأزرقى : أخبار مكة ٣٥٣/١ ، ٣٧١ ؛ حسين عبد الله باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، عمارتها وكسوتها وسدانتها، دراسة وتحقيق د. يحيى حمزه الوزنة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٩م ، ص ١١- ١٤؛ الديار بكرى (حسين بن محمد بن الحسن): كتاب ذرع الكعبة المعظمة، تقديم وتحقيق يحيى حمزه عبد القادر الوزنة ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ، ص ١ .

(٤) حسين مؤنس : المرجع السابق، ص ١٠٥ .

(٥) قال الفاسى في شفاء الغرام : وذكر هذا الخبر الفاكهى، ويتبعد أن يكون صحيحاً لأنه يقتضى أن =

من بعده إلى جماعة من قريش، حتى أعاد القوم بناء الكعبـــة في عام ٦٠٦ م (١٦ قبل الهجرة) ، فوضعوه في ركن البيت بإزاء باب الكعبة في آخر الركن الشرقي ، ويحدثنا التاريخ أن القوم كادوا يقتتلون على من يجوز شرف إعادة الحجر الأسود إلى مكانه ، لو لا حكمة سيد الأولين والآخرين – محمد صلى الله عليه وسلم – وذلك بأن وضع الحجر في ثوب ، ثم أمر بأن تأخذ قبيلة بناحية من الثوب ، ثم رفعوه جميعا ، فلما بلغوا موضعه ، وضعه بيده الشريفة، ثم نبي عليه [١] .

(سادسا) : التجارة :

يذكر سيمون **Simon** أن المصادر لا تذكر شيئا عن نشاط قصي بن كلاب التجاري [٢].

=

جرهما دفنوا الحجر في غير زمزم، والمعروف في دفنهم له أنه في زمزم ، كما ذكر ذلك أبن إسحاق وغيره، والمعروف أن القصة التي في هذا في دفن الحجر أتفقت لبنى أياد بن نزار حين أخرجوا من مكة ، وأن الحجر لم يستمر مدفونا إلى عهد قصي ، لأن امرأة من خزاعة آبصرته حين دفن، وأخبرت بذلك قومها فأعلم قومها بذلك مضر على أن يكون ولاية البيت لخزاعة ، وهذا مذكور في خبر ذكره الفاكهى عن الكلبى ، والزبير بن بكار، وفيه أنهم أعاوه في مكانه ، وبقى ولاية البيت في أيدى خزاعة حتى قدم قصي بن كلاب . أنظر : نقلا عن : جواد على ٥٤/٤ وكذا. حسين عبد الله باسلامة: المرجع السابق، ص ١١٣ .

(١) المسعودى : مروج الذهب ٢٧٢/٢- ٢٧٣ ؛ تاريخ الطبرى ٢٨٨/٢- ٢٩٠ ؛ ابن كثير البداية والنهايه ٢٩٩/٢- ٣٠٤ ؛ ابن الأثير ٤٤/٢- ٤٥ ، ياقوت ٤٣٦٦/٤ ؛ أبن هشام ١٩٩/١ - ٢٠٠ ؛ الأزرقى أخبار مكة ١٥٧/١- ١٦٤ ؛ المقدسي ١٤٠/١ ؛ ابن سعد : الطبقات ٩٢/١- ٩٥ ؛ تفسير القرطبي ١٢٢/٢- ١٢٣ ؛ محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ١٤١- ١٤٢ .

(٥) Simon, R., Hums et I Laf, ou Commerce sans Gnerre (sur La Genese et le Caractere du Commerce de la Mecque), Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae, xxlll (٢), ١٩٧٠, p. ٢١١.

صحيح أن معظم المصادر العربية الإسلامية لا تحفل بكثير عن هذا النشاط [١] ، لكن ثمة نصا مهما يقرر: " وكان أول مال أصابه قصي بن كلاب أنه كان رجل من عظماء الحبشة أقبل إلى مكة بتجارة فباعها ثم انصرف يريد أهله فتبعه قصي وقتله وأخذ ماله " [٢] . فلو أخذ قصي بظاهر النص لبدا لغير المدقق وكأنه نوع من قطاع الطرق، يغصب الناس مالهم وهم عزل في البراري . لكن المشروع السياسي الذي بدا قصي مصمما على تحقيقه في مكة ومن خلالها، لم يكن شأنه نفى التهمة فقط، عن هذا المؤسس، بل إضفاء أبعاد جديدة أيضا على المهمة الموكلة إلى المؤسسات التي أنشأها في مكة [٣] .

يذكر سيمون أن معظم المصادر العربية الإسلامية تربط ظهور مكة بمردود مرور التجارة عبرها [٤]، ربط السبب بالنتيجة، على أن التجارة هي النشاط الاقتصادي الأول في مكة المكرمة. ولذا حاول بعض الباحثين أن ينسبوا إلى قصي أنه نظم هذه التجارة [٥]. واعتمد سيمون [٦] تاريخين محتملين لزمن قصي، وانتهى إلى أن مكة لم تكن تستطيع عندئذ أن تمتلك أي تجارة مستقلة، لا على زمن من بهرام الخامس ملك الفرس (٤٢٠- ٤٤٠م) [٧] ولا في

(١) فكتور سحاب : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) المنمق ، ص ١٨ .

(٣) فكتور : سحاب المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(٤) Simon, R., op. cit., P. ٢١١.,

(٥) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٨٩.

(٦) Simon, R., op. cit., pp. ٢١١-٢١٢.

(٧) هناك من يرى أن الفترة هي: ٤٢٠- ٤٣٨م. أنظر: Kitchen, K. A., Documentation for Arabia, Part I, Livepool University Press, ١٩٩٤, p. ٢٥٣.

عهد فيروز بن يزدجرد (٤٥٧- ٤٨٣) [(١)] فكانت مكة في رأيه قادرة على تسيير تجارة مستقلة، لأن اليمن في ذلك الوقت كانت تسيطر على طريق البخور ويسيّر عليها تجارته. وافتراض سيمون أن استقلال اليمن يعني سيطرته على تجارة القوافل عبر شبه الجزيرة العربية، وأن ضياع هذا الاستقلال بالاحتلال الحبشي، أنهى سيطرة اليمن على تجارة القوافل [(٢)]، ولا شك في أن بعض ما ارتآه سيمون صحيح، لكنه أخطأ فيما يلي [(٣)]:

(أ) أن تأسيس تجارة مكية مستقلة يعني تأسيس تجارة مكية دولية، وهذا غير صحيح، لأن التجارة المكية ظلت على الأرجح مستقلة ومحلية، وربما نقلت اللّبان من اليمن، حتى نشأ الإيلاف [(٤)] في أوائل القرن السادس الميلادي، فاتسعت هذه التجارة عندئذ لتشمل البضائع الآتية من أسواق الشرق إلى أسواق الغرب، وهذا يعني أن قصياً كان يستطيع أن ينشئ لمكة تجارتها المحلية أو شبه المحلية المستقلة دون أن يتعارض هذا مع سيطرة اليمن على تجارة الشرق الدولية.

(ب) ولا يستبعد من الإرشادات إلى أن المكيين تعاونوا مع اليمنيين في حقب مختلفة [(٥)]، آخرها الوفود القرشية التي جاءت إلى سيف بن ذي يزن

---

(١) هناك من يرى أن الفترة هي: ٤٥٧- ٤٨٤م. انظر: .Ibid .

(٢) Simon, R., op. cit., pp. ٢١١–٢١٢.

(٣) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٩٠- ٢٩١.

(٤) انظر عن الإيلاف: نجوى محمد محمد جميل إكرام: "النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٣١٩- ٣٤٨.

(٥) جواد علي ١١٧/٤.

لتهنئه على انتصاره. فاليمن في معظم حقب التاريخ، ودول شمال شبه الجزيرة العربية، لم تستطع أن تفرض سلطانها بالقوة العسكرية على قبائل العرب، وكانت تُصانعهم وتتخذهم حلفاء وشركاء. وأغلب الظن أن تأسيس تجارة مكية مستقلة في عصر قصي لم يكن غرضه ولا كان طموحه للاستيلاء على خط التجارة الدولية من اليمن حتى الشام، بل في أقصى الحدود، تنشيط التجارة المحلية وتحسين الحصة المكية من الأسواق والمواسم السنوية، وتعزيز المهمة التي كانت تضطلع بها قريش على ما يبدو، في نقل اللبان اليمني إلى أسواق بيزنطة.

(جـ) إن سيمون لم يلحظ أن ما كان يجري في اليمن في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي يعزز الاعتقاد أن قصياً كان فعلاً مهتماً بإنشاء تجارة مكية، وأنه نقل رُبما بعض ولائه إلى ملوك اليمن، ففي ذلك العصر كان أبو كرب أسعد [1] قد طرد النفوذ الحبشي الأول من اليمن وأقام حكم الحميريين الصراع في جنوب الجزيرة، وفي المقابل كان قصي يستولي على مكة فيما يرى البعض بمساعدة قيصر، إذا صح قول ابن قتيبة الشهير، ولكن ما الذي يحدو قصياً، وهو حليف محتمل لقيصر، وقد نصرته قبيلة بني عذرة، المعروفة بميلها إلى الروم، على الإشاحة عن قيصر ومماشاة

(١) يذكر البعض أسعد أبو كرب. انظر: فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٩٠. ويعطيه Kitchen فترة حكم ٤١٠- ٤٣٥م، بينما يضيف منذر البكر بأن بداية من عهده تغير اللقب المكي للدولة (ملوك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات)، حيث أضيف إليه إضافة جيدة ليصبح اللقب: ملوك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في الجبال والتهائم. انظر: منذر عبد الكريم البكر: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام تاريخ الدول الجنوبية في اليمن: ص٣٦٤، Kitchen, K. A., op. cit., ٢٤٥.

الحميريين أعداء الأحباش وبيزنطة؟.

إن التاريخ حافل بمثابة هذه الحوادث السياسية، فمن يسع إلى السلطة يُغدق الوعود ويتوسل العون حيثما تيسر، أما إذا استوى على عرشه فإن الحسابات تختلف. ويؤكد حدوث انقلاب قصي هذا أن "أول مال أصابه" كان من "رجل من عظماء الحبشة". والحبشة هم حلفاء بيزنطة، وهم الذين طردهم أسعد أبو كرب من اليمن، والتاجر الذي قتله قصي لم يكن حبشياً فقط، بل "من عظماء الحبشة". وقد يكون ذاك آخر عهد للحبشة بمكة في ذلك العصر، وقد تكون تلك هي إشارة الانقلاب السياسي الذي انقلبه قصي، بعدما ارتأى أن مصلحته التجارية تقضي أن يساير الحميريين، وإلا فقد صلته باللبان ومصادره[١].

ومن ناحية أخرى أكدت المصادر أن مؤسسات تنظيم الحرم المكي، التي ينسب إنشاؤها لقصي إنما كانت على صلة مباشرة بالتجارة قدر اتصالها بالدين – كما ذكرنا سابقاً – أيضاً. فتذكر الروايات أن مضاضاً بن عمرو الجرهمي، قال في إحدى خطبه لحث المكيين على حماية الغرباء في الحرم جلباً للتجارة: "ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً لحرمته أو آخر جاء بايعاً لسلعته أو مرتغباً في جواركم"[٢]. ولم تكن دار الندوة التي أنشأها قصي بعيدة عن أمور التجارة، حيث كانت القوافل تُرحل منها للتجارة، وفي فنائها كانت تحط حمولتها إذا عادت[٣]. وكانت في دار الندوة، في تقدير بعض

(١) ابن قتيبة: المعارف ص٦٤٠ - ٦٤١ وكذا Hamidullah, M., "Les Ahabish" de La Mecque, Studia Orientalist, I, ١٩٥٦, PP. ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة ٤٨/١.

(٣) أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ص١١٥.

الباحثين، نوع من المحفوظات، لحفظ المعاهدات والمواثيق التجارية والمحالفات، وكان من مهام القائمين على دار الندوة، أن يعينوا التجار بالمشورة والدرس والنصح وتبادل الخبرة، وأن يشرفوا على جمع المكوس [(١)].

(سابعاً): حلف الأحابيش:

هناك من يرى أن ابتداء حلف الأحابيش وعقده على يد قصي بن كلاب [(٢)]، وكان الذي قاد بني الحارث بن عبد مناة وحالف قصياً بن كلاب هو عامر بن عوف مسك الذنب [(٣)]، وهو ما نفهمه من قول الشاعر حذافة بن غانم، أحد بني عدي بن كعب بن لؤي، في قصيدة له يمدح فيها أبو لهب، ويذكر فيها مفاخر بني عبد مناف، وأبيهم قصياً مشيراً إلى جمعه قريش، وإنكاحه ابنته لعوف بن الحارث بن عبد مناف حتى يجيرهم من بكر، يقول:

أبو عتبه [(٤)] الملقى إلى حباءه   أعز هجان اللون من نفر زهر

(١) ابن هشام ١/١٣٧، ١٤١ وكذا.

-Haji Hassan, Abdullah Alwi, The Arbian Commercial. Background in pre- Islamic Times, Islamic Culture, vol. ٦١, ١٩٨٧, Nr. ٣, pp. ٧٥□٧٦.

(٢) عبيد الله بن حسين الشريف: الأحابيش وموقفهم من الصراع بين قريش والمسلمين، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخيةت، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الحولية الأولى، الرسالة الأولى، شوال ١٤٢٢هـ/يناير ٢٠٠٢م، ص١٨، وكذا أيضاً دراسة حديثة عن الأحابيش: نجوى محمد محمد إكرام: المرجع السابق، ص١٤٩- ١٦٣.

(٣) المنمق، ص٢٣١.

(٤) أبو عتبة هو أبو لهب بن عبد المطلب بن هاشم، كان قد أفتك الشاعر عندما أوقف بمكة بنسبة أربعة آلاف درهم غرم عليه؛ فأداها عنه، والقصة والقصيدة كاملة عند ابن هشام، انظر: ابن هشام ١/١٧٤- ١٧٨، جمهرة الكلبي ص٢٥، ابن سعد: الطبقات: ١/٧١.

وساقي الحجيج ثم للشيخ هاشم وعبد مناف ذلك السيد الغمر
أبوهم قصي كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر
وأنكح عوفاً بنته ليجيرنا من أعدائنا إذا سلمتنا بنو بكر [١]

أورد ابن هشام القصيدة كاملة [٢] وبينهما خلاف في الأبيات موضع الشاهد، حيث جاءت الإشارة إلى اللفظ موجهة لعبد مناف قصي وليس أبيه [٣]، وهي قوله:

وفي بناة للعلا وعمارة وعبد مناف جدهم جابر الكسر
بإنكاح عوف بنته ليجيرنا من أعدائنا إذا سلمتنا بنو فهر

كما صرح بعقد بني قصي حلف الأحابيش في قوله:

وهم جمعوا الأحابيش كلها وهم نكلوا عنا غزاة بني بكر [٤]

ويبدو أنه حدث خلط عند الرواة عن منشأ الحلف، بين عاقده قصي بن كلاب ومجدده ابنه عبد مناف بن قصي، فجاءت الرواية على قولين [٥]، قال ابن حبيب: "كان الذي قاد بني الحارث وحالف قصياً عامر بن عوف ويقال له مسك الذنب، ويقال: بل حالفه عبد مناف وزوجه ابنته ريطة" [٦].

(١) ابن سعد: الطبقات ١/٢٣١- ٢٣٢. وقد ذكر أن الشاعر يمدح فيها أبا طالب والصحيح أبا لهب.
(٢) ابن سعد: الطبقات ١/١٧٦.
(٣) عبد الله بن حسين الشريف: المرجع السابق، ص١٨.
(٤) ابن سعد: الطبقات ١/١٧٧.
(٥) عبد الله بن حسين الشريف: المرجع السابق، ص١٨.
(٦) المنمق: ص٢٣١.

والراجح أن عاقده قصياً كما أسلفنا، لتوافق سبب عقد الحلف وطبيعة الحال، فإن تسلط بكر على بعض قريش بمكة، كان حال تفرقهم قبل أن يجمعهم قصي، وينزلهم مكة، ويسيطر على مقاليد الأمر بها [١].

وعلى هذا يمكن لنا أن نؤرخ لهذا الحلف بزمن قصي بن كلاب، قبل جمعه قريشاً في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي [٢]. وقد تساءل فكتور سحاب، هل تزامن قيام حلف الأحابيش مع إيلاف قريش، مطلع القرن السادس الميلادي، لكنه وجد أخبار الحلف تسبق الإيلاف ممتدة إلى عهد قصي [٣]، وإن تعذر عنده ما يفيد جمع قصي لهذا الحلف غير أننا أوردنا من النصوص والشواهد ما يفيد عقد قصي له [٤].

يجمع المؤرخون الإسلاميون على أن قصياً إنما ظل يمسك بهذه ا لمناصب والمؤسسات جميعاً حتى وفاته. والحق أن هذا كله يعتبر الأساس الذي قام عليه مجد قريش مكة بعد ذلك، فقد كان قائداً عسكرياً وسياسياً ومفكراً بعيد الغور، وكان إلى جانب ذلك يتميز بميزة اكتشاف مواضع الآبار – كما ذكرنا، وكما كان رجل تنظيم وإدارة [٥]. ويذكر الفاكهي: "فحدثنا الزبير بن أبي بكر، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن الواقدي، قال: مات قصي بن كلاب بمكة فدفن بالحجون. ومن ثم تعد مقبرته هي

(١) عبد الله بن حسين الشريف: المرجع السابق، ص١٩.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) فكتور سحاب: المرجع السابق، ص٢٩٤- ٢٩٦.

(٤) عبد الله بن حسين الشريف: المرجع السابق، ص١٩.

(٥) الفاكهي: أخبار مكة ٤/٥٨- ٥٩، تاريخ اليعقوبي ١/٢٤٠- ٢٤١، وانظر: تاريخ الطبري: ٢/٢٥٤- ٢٥٥.

المقبرة الأولى [(١)].

مؤثرات قصي بن كلاب:

يهتم علم الاجتماع بدراسة العلاقة بين الدين وبعض مجالات الحياة الاجتماعية [(٢)]، بالإضافة إلى وجهة نظر علماء الإنثروبولوجيا؛ هي بيان وظيفة الدين في المجتمعات القديمة أو البدائية، سواء في البنى التحتية أو البنى الفوقية، حيث يمارس الدين وظيفة هامة وهي تدعيم التماسك الاجتماعي وضبط سلوك الأفراد [(٣)]. وأن المقدسات هي أحد أبعاد الحقل السياسي، ويمكن أن يكون الدين أداة للسلطة، ضماناً لشرعيته، وإحدى الوسائل المستخدمة في إطار المنافسات السياسية. وقد أوضحت الدراسات التي أجريت على كثير من المجتمعات القديمة أن الدين والسلطة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، وأن ثمة اتصالاً بينهما. وأن السلطة السياسية تملك السيطرة العامة على المقدس، وتستطيع استخدامه لصالحها في جميع الأحوال [(٤)].

---

(١) الفاكهي: أخبار مكة ٤/٥٨، وعن الحجون، انظر: خليل عبد الكريم: المرجع السابق، ص٣٥.

(٢) محمد محمود الجوهري: المدخل إلى علم الاجتماع، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٣٨٩.

(٣) بوتمور: تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة نخبة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية، الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر، ١٩٨٣م، ص٣١٣.

(٤) جورج بالانديه: الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة جورج أبي صالح، الطبعة الأولى، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٦م، ص٩٣- ٩٥.

ومن الدراسة السابقة لأعمال قصي بن كلاب يظهر بوضوح في نقاط:

أولاً: مدى سير قصي بن كلاب في طريق استخدام الدين واستثمار المقدس في أمرين:

(أ) نشر التماسك بين قبائل العرب عن طريق شعيرة الحج، باعتبارها الشعيرة المجمع عليها من القبائل كافة بخلاف الأصنام التي كانت تتعدد فيها، ثم الانتقال من وتيرة التماسك إلى مرحلة التوحيد تحت هيمنة قريش.

(ب) توظيفه كرافعة شديدة الفعالية، وذات أثر سحري في النفوس في يد السلطة، والإلحاح على هذه الدعوى حتى ترسخت، وأصبح القرشيون ذاتهم شخوصاً مقدسة، أو – على أقل القليل – تخالطهم قداسة ملموسة، ومن ثم أطلق عليهم "أهل الحرم". ومن البديهي أن شيخهم أو رئيسهم يتمتع بقدر أوفر من القداسة، ولذلك ليس اعتباطاً ما قاله المؤرخون عن قصي كان أمره في قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع، فلا يعمل بغيره، وصار توظيف الدين سنة من بعده، اتبعها أبناؤه وأحفاده بذكاء بالغ.

ثانياً: جمع بطون أفخاذ قبيلة قريش التي كانت مستضعفة ومشتتة تسكن الشعاب ورؤوس الجبال وأطراف مكة، وأتاح لها سكنى أشرف بقعة في البلد الحرام "الأبطح"، ومن ثم سمي "مجمعاً" [١]، وبعد ذلك خطا خطوة جريئة، وهي أنه أمرهم أن يبنوا بيوتهم في الحرم، وحول البيت [٢]، وعلله بجملة وردت على لسانه كشفت عما كان يخطط له؛ وهي قوله "فوالله

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١/١٠٦.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٠٦.

لا تستحل العرب، قتالكم، ولا يستطيعون إخراجكم فتسودوا العرب أبداً، فأجابوه لذلك" [١] وسيادة قريش لكل العرب كان هو الهاجس الأقوى الذي ملك على قصي لبه وعقله وكل تفكيره، والهدف الذي نذر حياته له، ومن ثم أخذ يحكم التدبير له، ثم أكمل الخطة من بعده، أولاده وأحفاده، والسيادة على عرب شمال غرب شبه الجزيرة العربية لا تتم إلا بإنشاء دولة مركزية في مكة على غرار دولتي الروم والفرس.

ثالثاً: بنى قصي بن كلاب دار الندوة وفيها كانت تتم المشاورات لا بين شيوخ قريش فحسب، بل بين شيوخ القبائل الأخرى، ومن ثم فقد كان بيته عبارة عن "ناد للعرب"، بل ملجأهم في جميع المشكلات سواء كانت هذه المشكلات عامة أو شخصية[٢]. هكذا لم تكن دار الندوة للشورى [٣] فقط، بل كانت جميع الأمور الهامة تتم من بين جدرانها، مثل عقد ألوية الحرب، خروج قوافل التجارة، إبرام عقود النكاح، وبذلك عُدت دار الندوة مقراً للحكم المركزي الوليد، إذ لم يحدثنا التاريخ العربي القديم عن دار مثلها في أي بقعة في شبه الجزيرة العربية، وهذا كله يفسر المقولة التي كررها الإخباريون كثيراً عن قصي أنه "أول من أصاب ملكاً أطاع له به قومه".

وهذا ما أجمع عليه الإخباريون بلا خوف، – كما سبق – فكان أول رجل من بني كنانة أصاب ملكاً وأطاع له قومه فكانت له الحجابة والرفادة

(١) خليل عبد الكريم: المرجع السابق، ص٣٨.

(٢) محمد رضا: المرجع السابق، ص١٢.

(٣) موسى بناي علوان: "الشورى في الجزيرة العربية قبل الإسلام"، الدارة، العدد الثالث، السنة العاشرة، ربيع الثاني، ١٤٠٥هـ/ ديسمبر ١٩٨٤م، ص٥١- ٨٠.

والسقاية والثروة واللواء والقيادة، فلما جمع قصي قريشاً بمكة سمي مجمعاً [(١)].

على أن "هنري لامانس" .Lammens, H يرى صورة من صور التنظيم الجمهوري، الذي يجمع بين خصائص الارستقراطية وخصائص الديمقراطية، وقد يكون لشخصية "قصي" الفذة تأثير في ذلك، إلا أن تنظيمات قريش لم تكن في واقع الأمر، إلا تنظيماً قبلياً في جوهره، وإن بدا في ظاهره تنظيماً جمهورياً، لأن الزعيم لم يكن يحمل لقباً معيناً، فضلاً عن أن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن العشيرة إنما كانت تتمتع بحرية كاملة، ولا تخضع لسلطان غيرها في كثير من الأحايين، بل إن كثيراً من الأفراد إنما كانوا يخرجون على رأي العشيرة نفسها، ومن النوع الأول عدم مشاركة بني زهرة لقريش في موقعة بدر، رغم موافقتها على القتال وخروجها إليه، بل إن بني عدي لم يخرجوا للقتال أصلاً، ومن النوع الثاني خروج أبي لهب على رأي بني هاشم، وانضمامه إلى بقية بطون قريش في مقاطعتها لبني هاشم، وبقاء العباس على علاقاته الودية ببطون قريش، رغم تضامنه مع بني هاشم، هذا إلى جانب أن العشيرة غنماً كانت تخرج أحياناً على رأي مجلس القبيلة، ومثال ذلك اجتماع بني هاشم والمطلب على حماية المصطفى – صلى الله عليه وسلم ومواجهة قريش [(٢)].

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١٠٦/١.

(٢) Lammens, H., "La Republique Marchand de La Mecque, "Bulletin de L'Institute Eqyptien, ٥ th Series, ٤, ١٩١٠, PP. ٢٣-٥٤؛ ثم قارن: ابن هشام ٣٦٥/١، تاريخ الطبري ٣٢٣/٢- ٣٢٨، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٤٣، ابن الأثير ٨٧/٢، ١١٧، ١٢١، ابن كثير ٨٤/٣- ٨٨، ٢٥٧، ٢٦٦، وكذا أحمد إبراهيم الشريف: المرجع السابق، ١١٢- ١١٣، وكذا عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٠١- ٢٠٢، محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٤٠٨- ٤٠٩.

وهناك من يرى أن جمع قصي لرياسة دار الندوة وعقد اللواء وجمعه الرفادة يقابل الاصطلاح الحديث، رياسة السلطات التشريعية والحربية والمالية، إن جاز هذا التعبير [(١)].

كما أن هناك من يذكر بأن قصي قد أصبح ملكاً في مكة [(٢)].

وأنه كان أدهى من رأى من العرب [(٣)]. لقد كانت الممارسات التي فعلها قصي من أجل الحج، كانت بمثابة إعلان منه للعرب، أن دولة مركزية قامت في مكة، وإعلاماً أن قريشاً تحولت من قبيلة إلى دولة تحكم البيت الحرام [(٤)].

ويرى الدكتور طه حسين، أنه من العسير أن نحدد لمكة نظاماً من نظم الحكم التي يعرفها الناس، فلم يكن لها ملك، ولم تكن جمهورية أرستقراطية بالمعنى المألوف لهذه العبارة، ولم تكن جمهورية ديمقراطية بالمعنى المألوف لهذه العبارة أيضاً، ولم يكن لها طاغية يدير أمورها على رغمها، وإنما كانت قبيلة عربية احتفظت بكثير من خصائص القبائل البادية، فهي منقسمة إلى أحياء وبطون وفصائل، والتنافس بين هذه جميعاً قد يشتد حيناً ويلين حيناً آخر، ولكنه لا يصل إلى الخصومات الدامية، كما هو الحال في البادية، وأمور الحكم، تجري كما تجري في البادية، وكل ما

---

(١) محمد مبروك نافع: تاريخ العرب – عصر ما قبل الإسلام، القاهرة، ١٩٥٢م، ص١٣٩.

(٢) موسى بناي علوان: المرجع السابق، ص٥٠.

(٣) محمد بن يوسف الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، نقلاً عن: خليل عبد الكريم: المرجع السابق، ص٤٠.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص٤٢.

وصلت إليه قريش من التطور في شئون الحكم هو أنها لم يكن لها سيد أو شيخ يرجع إليه فيما يشكل من الأمر، وإنما كان لها سادة أو شيوخ يلتئم منها مجلس في المسجد الحرام، أو في دار الندوة (١).

وأياً ما كان الأمر، فإن قصياً إنما هو أول رئيس من رؤساء مكة يمكننا الحديث عنه، دون أن يخالجنا ريب فيما نقول، فالرجل قد خلد ذكراه في التاريخ بأعماله العظيمة في مكة، رغم ريب المرتابين، والرجل قد أوجد من النظم في تنظيم الحج إلى بيت الله الحرام، ما بقي بعده مئات السنين، والرجل هو الذي جعل البلد الحرام خالصاً لأهله من بني كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام، بعد أن أبعد عنه بني خزاعة (٢).

---

(١) طه حسين: مرآة الإسلام، ص٢٢.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٠٥.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

- الحديث

- التفسير

٢- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على الشيبانى): الكامل في التاريخ، الجزءان الأول والثاني، بيروت ١٩٦٥ .

٣- ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمى): كتاب المحبر، حيدر أباد الدكن ١٩٤٢ .

– المنمق: تحقيق خورشيد أحمد فاروق، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

٤- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، القاهرة ١٩٥٧.

– : تاريخ ابن خلدون، بيروت ١٩٧١ .

٥- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن): الإشتقاق (جزءان)، القاهرة ١٩٥٨ .

٦- ابن سعد (أبو عبد الله بن سعد بن منيع الزهرى): الطبقات الكبرى، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٨ .

٧- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى): المعارف، القاهرة ١٩٣٤ .

٨- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل): البداية والنهاية في التاريخ، الأجزاء (١- ٤)، بيروت ١٩٦٦ .

٩- ابن منظور (أبو الفضل محمد مكرم): لسان العرب، بيروت ١٩٥٥ .

١٠- ابن هشام (محمد عبد الملك بن أيوب الحميرى): سيرة النبي صلى الله علية وسلم، القاهرة ١٩٥٥ .

١١- الأصفهانى (أبو الفرج على بن الهيثم): الأغانى القاهرة ١٩٢٩ .

١٢- الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله) : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، جزءان، بيروت ١٩٦٩.

١٣- الألوسي (السيد محمود شكري): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٢٤- ١٩٢٥.

١٤- الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم): جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٥- البلاذري (أحمد بن يحيى): فتوح البلدان، (٣أجزاء)، القاهرة ١٩٥٧.

– البلاذري (أحمد بن يحيى): أنساب الأشراف، القاهرة ١٩٥٩.

١٦- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، عشرة أجزاء، بيروت ١٩٦٨- ١٩٧١.

١٧- الزبيدي (أبو الفيض مرتضى بن محمد): تاج العروس، الكويت.

١٨- الزبيري (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب): كتاب نسب قريش، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٣م.

١٩- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك، الأجزاء ١- ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٧- ١٩٦٩.

٢٠- القاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جزءان، القاهرة، ١٩٥٦.

٢١- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القاهرة ١٩٥٩م.

٢٢- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): أخبار الزمان، بيروت، ١٩٦٦م.

٢٣- المقدسي (موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه): التبيين في أنساب القرشيين، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي، الطبعة الأولى، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٤- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، (١٤ جزءاً)، القاهرة ١٩٤٣م.

٢٥- الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الإكليل، الجزء الأول، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٦- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر): تاريخ اليعقوبي، الجزءان الأول والثاني، بيروت، ١٩٦٠م.

٢٧- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله): معجم البلدان، خمسة أجزاء، بيروت، ١٩٥٥- ١٩٥٧م.